يقع ذلك من المُتَخاطبين من وجهين : أحدهما الإعرابُ والأخر التَّصْريف .

فأما الإعراب فَبه تميَّزُ المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين وذلك أنَّ قائلاً لو قال : ما أَحْسن زيد غير مُعْربلم يُوقف على مراده فإذا قال : ما أحسَنَ زيداً أو ما أحسنُ زيدٍ أو ما أحْسَنَ زَيْدٌأبانَ بالإعراب عن المعنى الذي أرادَه .

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهمفهم يَفرقُون بالحركات وغيرها بين المعانييقولون : مفْتَح للآلة التي يُفْتح بها ومَفْتح لموضع الفتح ومقَص لآلة القص ومَقصّ للموضع الذي يكون فيه القص ومحْلب للقدَح يُحْلَب فيه ومَحْلَب للمكان يُحْتُلب فيه ذَواتُ اللبن .

ويقولون : امرأةٌ طاهرٌ من الحيضلأن الرجل لا يَشْرَكها في الحيض وطاهرةٌ من العيوبلأن الرجلَ يشْرَكُها في هذه الطهارة .

وكذلك قاعدٌ من الحَبَل وقاعدةٌ من القعود .

ويقولون : هذا غلامٌا أحسنُ منه رجلٌ يريدون الحالَ في شخص واحد .

ويقولون : هذا غلامٌ أحسنُ منه رجلٌ فهما إذن شخصان .

ويقولون : كم رجلاً رأيتفي الاسْتخبار .

وكم رجلٍ رأيت في الخبر يراد به التكثير .

وهُنَّ حَوَاجُّ بيت اللّه إذا كنَّ قد حَجَجْنَ .

وحَوَاجّ بيت اللّه إذا أردنَ الحجّ .

ويقولون : جاء الشتاء والحطبَ إذا لم يرد أنَّ الحطَب جاء إنما أريدَ الحاجةُ إليه .

فإن أريد مجيئُهما قال : والحطبُ .

وأما التصريف فإن مَنْ فاته علْمُه فاته المُعْظَملأنا نقول : وَجَد وهي كلمة مُبهمة فإذا صرفت أَفْصَحْتفقلت في المال : وَجْداًوفي الضَّالة : وجْداناًوفي الغضب : مَوْجدَةًوفي الحُزْن : وَجْداً .

ويقال : القاسط للجائر والمُقْسطُ للعادلفتحوَّلَ المعنى بالتصريف من الجَوْر إلى العَدْل .

ويقولون للطريقة في الرَّمْل : خبَّة .

وللأرض (بين المخْصبَة والمجْدبة) خُبَّة .

(ونقول في الأرض السهلة الخوّارة : خارت تخور خَوراً وخُؤوراًوفي الإنسان إذا ضعُف : خَار خَوَراًوفي الثور : خارَ خُوَاراً) .

وللمرأة الضخمة : ضنَاك وللزّ ُكْمَة : ضُنَاك ويقولون للإبل التي ذهبتْ ألبانها : شَوْل وهي جمع شائلة وللتي شالَتْ أَذْنَابُها للّقَحْ : شُوّلوهي جمع شائل ولبَقيّة الماء في الحوض : شَوْل .

ويقولون للعاشق : عَميد وللبعير المتأكّل السّنَام : عمد إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحْصَى